ذكرت صحيفة أمريكية أن الحرس الثوري الإيراني يجند لاجئين من شيعة أفغانستان للقتال في صفوف نظام الأسد في سوريا ضد الثوار، مقابل رواتب تصل إلى 500 دولار شهريًا.

وأشار الكاتب فيليب سميث في مقال له بصحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية بعنوان "مقاتلو إيران من الشيعة الأفغان في سوريا" إلى أن تجنيد هؤلاء جاء لتعويض الخسائر التي لحقت بصفوف عملاء "فيلق الحرس الثوري" في سوريا.

ورأى سميث أن انخراطهم المتزايد في الحرب يستدعي تمحيصًا أدق؛ نظرًا إلى تداعياته المحتملة على سوريا ومستقبل طموحات إيران الإقليمية والطائفية، بحسب دراسة لمعهد واشنطن.

وأوضح أن المقاتلين الشيعة الأفغان في سوريا ينحدرون من ثلاثة أصول رئيسة؛ أولها هي الوحدة التي كانت موجودة بالفعل في سوريا قبل اندلاع الحرب، ويسكن أفرادها بالقرب من مرقد السيدة زينب وهو مزار شيعي بارز في جنوب دمشق.

ونقل سميث عن الباحث أحمد شجاع أن نحو ألفي أفغاني شيعي، معظمهم من قومية الهزارة التي يتكلم أبناؤها اللغة الفارسية، انتقلوا للعيش في سوريا قبل اندلاع الثورة وعلى غرار لاجئي الهزارة في البلدان الأخرى، فرّ الكثيرون منهم من أفغانستان "جراء المعاناة المتواصلة التي تعرضوا لها على أيدي حركة طالبان" على حد وصفه.

وأشار إلى أن المقاتلين الذين ينحدرون من هذه الفئة من السكان اللاجئين اتبعوا في تنظيمهم نموذجًا يشابه تنظيم "لواء أبو الفضل العباس" - أبرز فصيل شيعي مؤيد للنظام في سوريا وقد تألف صلب القوة الأصلية لـ"لواء أبو الفضل العباس" من لاجئين عراقيين شيعة من منطقة السيدة زينب الذين تجمعوا في شكل لجنة شعبية؛ وكان تبريرهم المعلن عن مشاركتهم في القتال هو الدفاع عن المرقد الشيعي المقدس.

وجاء فيما بعد المجندون المدعومون من إيران والمقاتلون المدربون من منظمات قائمة كـ"عصائب أهل الحق" و"كتائب »حزب الله«"، و"»حزب الله« اللبناني" ليساهموا في توسيع هذا اللواء وبناء قدراته القتالية.

أما الوحدة الثانية من المقاتلين الشيعة الأفغان فتنحدر من إيران، ووفقًا للصحف المدعومة من الحكومة الإيرانية ومصادر شيعية أفغانية تشكل هذه الوحدة المجموعة الكبرى بين الوحدات الثلاث.

وأشار إلى أن الكثيرين من هؤلاء المجندين كانوا في الأصل لاجئين في إيران، التي تُعد موطنًا لحوالي نصف مليون من الهزارة؛ وقد أشار تقرير "مركز ستيمسون" عام 2010 إلى أن ثلث هؤلاء اللاجئين "أمضوا أكثر من نصف حياتهم في إيران".

ولفت إلى أن المصدر الثالث "والأكثر مدعاةً للجدل" للمقاتلين الشيعة الأفغان هو جماعات اللاجئين في بلدان من غير إيران وسوريا، ففي نيسان/ أبريل 2013 سبق أن أعلن مسؤولون أفغان أنهم سيدرسون التقارير التي تفيد عن مواطنين أفغان يقاتلون لصالح الأسد. وفي الشهر الماضي تحديدًا طلبت كابول من طهران عدم تجنيد مواطنيها للقتال في سوريا.

وهددت أفغانستان في حال ثبوت ضلوع طهران بتجنيد أفغان للقتال في سوريا بتقديم شكوى لـ"المفوض السامي لشؤون اللاجئين للأمم المتحدة"، ومع ذلك لم تظهر حتى اليوم أية أدلة فعلية على عمليات التجنيد المباشر في أفغانستان.

وأوضح الكاتب أن المقاتلين الشيعة الأفغان كانوا موجودين ضمن شبكة الفصائل المرتبطة بـ"لواء أبو الفضل العباس". وعندما قُتل بعضهم في ساحة المعركة، كانوا يصنّفون بشكل محدد كعناصر من "لواء أبو الفضل العباس"؛ هذا بالإضافة إلى الصور التي نُشرت لشيعة أفغان يرتدون زيهم العسكري مع شعار اللواء.

ورأى في الوقت ذاته أن المآتم التي أقيمت في إيران في تشرين الثاني/ نوفمبر- كانون الأول/ ديسمبر تدل على تغيُّر طبيعة انخراط الشيعة الأفغان في الحرب. إذ تم الإعلان أن المقاتلين العشرة الذين شُيِّعوا في تلك المآتم هم عناصر من تنظيم قتالي جديد يدعى لواء "الفاطميون".

ومع أن هذا اللواء قد ادّعى منذ ذلك الحين أنه لم يكتفِ بتجنيد الشيعة الأفغان فحسب، فإن المواد التي نشرها مؤيدوه تؤكد تحديداً عَلى تجنيد تلك الفئة.

ولفت إلى أن كلًا من لواء "الفاطميون" وطهران نفوا ضلوع الحكومة الإيرانية المباشر في أنشطة التنظيم، لكن هذه المزاعم غير منطقية بحسب الكاتب، فأعمال التجنيد لم تتم في إيران فحسب، بل إن المواكب الجنائزية لتشييع القتلى شملت بانتظام جنوداً من "الحرس الثوري الإيراني" بزيهم العسكري فضلًا عن لافتات تحمل شعار "مؤسسة شؤون الشهداء والمحاربين القدامى" الرسمية الإيرانية.

وقال: إنه وبالرغم من تشكيل تنظيمهم الخاص، لا يزال المقاتلون الشيعة الأفغان ينسّقون بانتظام ويقاتلون إلى جانب التنظيمات الشيعية الأخرى المؤيدة للنظام. ومثالٌ على ذلك هو الصور التي تم نشرها على مواقع التواصل الاجتماعي التابعة للواء "الفاطميون"، والتي تُظهر أحد المقاتلين الأفغان مع اثنين من مقاتلي "عصائب أهل الحق".

وألمح الكاتب إلى تأكيد تقرير نشرته صحيفة إيرانية الشهر الماضي أن المقاتلين الشيعة الأفغانيين كان لهم وجود في "عصائب أهل الحق" وميليشيات شيعية أخرى مثل لواء "ذو الفقار"، وقد أتاح هذا الوجود لهؤلاء المقاتلين المشاركة في الاشتباكات الكبرى في جميع أنحاء سوريا، بما في ذلك اشتباكات في نيسان/ أبريل في منطقة دمشق، وفقًا للتقارير.

وقال الكاتب: مجتمع الهزارة الشيعي في أفغانستان شكل هدفًا منطقيًا للتجنيد الإيراني للحرب في سوريا. ولدى طهران سجلٌ حافل باستغلال السكان الشيعة الذين تستطيع التأثير عليهم بشكل مباشر بفعل مركزها الجغرافي - الاستراتيجي والديني والتاريخي.

وأوضح أنه ونظرًا إلى الفترة الطويلة التي عاشتها الجماعات الأفغانية في إيران، قد تجد طهران في الحرب فرصةً لبسط نفوذها على العناصر الشيعية المختلفة والمضي قدمًا بمخططاتها القيادية. وعلاوة على ذلك، فإن استخدام المقاتلين ذوي الانتماءات العرقية المتنوعة قد يسهم في إظهار الدعم الشيعي الكبير لقوات الأسد الدفاعية المسلحة التي تنظِّمها إيران، مع الهدف المفترض المتعلق بإضفاء الشرعية على نهج طهران.

واعتبر الكاتب أنه ووفقًا لعدد من التقارير فمن الواضح أيضًا أن "الحرس الثوري الإيراني" والتابعين له يتكبدون خسائر في سوريا، ويستوجب بالتالي إيجاد بدائل عنهم. وهنا يعتبر الشيعة الأفغان - الذين يملكون بغالبيتهم تجارب تدريبية مع الحروب الطائفية الضروس في أفغانستان - المرشحين الأمثل لمحاربة الثوار السُّنة في سوريا، على الرغم من أن فعاليتهم في ساحة المعركة ما زالت غير مؤكدة. لكن وجودهم المتنامي يتيح على الأقل للقوات الإيرانية وغيرها التابعة لها فترة راحة هي بأمسِّ الحاجة إليها.

وختم بالقول: إن إيران قد تحصد منافع متبقية أخرى من تدريب وتجهيز هذه الوحدات وتعزيزها، وفيما تباشر الولايات المتحدة انسحابها من أفغانستان على نطاقٍ أوسع، قد تقرر طهران إعادة توجيه شبكتها الجديدة من العملاء الأفغان نحو الشرق، بهدف التأكيد على نفوذ أوسعٍ بين المجتمعات الشيعية التي غالبًا ما تسودها الانقسامات في أفغانستان.

كاتب المقالة :
تاريخ النشر : 07/06/2014
من موقع : موقع الشيخ الدكتور/ محمد فرج الأصفر